**المحاضرة الرابعة:**

**مقدمة:**

يمثِّلُّ النَّص الأدبي الشَّعبي واحدًا منَ النُّصوص التِّي وجد فيها الأدباء والمبدعين ضالتَهم وراحتَهُم في التَّعبير فقد منحهم هذا النَّص الحريَّة في التنقُّل بين أشكاله المختلفة والمتنوِّعة كالقصَّة الخرافيّة والحكاية الشَّعبية والنكتة والأسطورة ومسرح الفرجة...إلخ. حيث أمكننا القول أنّ هذا الأدَب حاضرٌ وعرف مراحل عدّة ساهمت في تطوُّره ونضجهِ فمن يمكنُه أن يمحي الملاحم التِّي عرفها العرب والتِّي تمثِّلُّ شكلاً من أشكال الأدب الشَّعبي وهنا نمثِّل بملحمة "جلجامش" التِّي تعدُّ واحدة منْ الدَّلائل على معرفة العرب للفنِّ الشَّعبي ولو لم يكن قد قُعِّدَ لهُ من قبل. ولم يتوقَّف عند هذا الحد بل عرف العرب أشكالاً متنوِّعة منَ الشعر الشّعبي كالزَّجل والقوما والكان وكان والمواليّا وقد تطوّرت القصيدة الشَّعبيّة الحديثة فمنها ما حافظ على طريقة النَّظم القديمة ومنها ما أحدث تجديدًا وتغييراً في الشكل وكذا المضمون ما يجعلنا نُقرُّ بحضور أشكال النَّص الأدبي الشّعبي لدى المبدعين وكذا النُّقاد للوقوف على مميِّزاته الفنيَّة وخصائصِهِ الجماليَّة. ويمكننا القول بأنّ هذا النَّوع من الأدب وجد أرضيَّةً مناسبة للظهورِ والنُّشوءِ في الجزائر بدايةً من الاستعمار الفرنسي فقد اتَّخذ منْ ينطقُ اللُّغة العربيّة الفصحى حجَّة الشَّعبي لإخفاء مقدرة التَّمكّن حتّى يظهر عكس ما يخفي وخير دليلٍ على هذا الشّعراء أمثال عبد القادر الخالدي، قدور بن محمّد، محمّد بلخير، غير أنّ هذا الأدب وجد في الجزائر مع الفتح الإسلامي ثمَّ نمى وتطوَّر وقد حفلت رفوفُ المكتبات بدواوين لأسماء لامعة ويعتبَرُ "سيدي لخضر بنْ خلوفْ" واحدًا منهم، أمّا الأمثال الشّعبيّة الجزائريّة كان لها من البروز والشُّيوع الحظ الوافر لأنّها تقومُ على مُميّزات جعلت النّاس يتداولونها ويحفظونها وهذا دلالةٌ على قيمة الأمثال الجزائريّة ودورها في الجانب التّعليمي.

**-تعريف اللَّـــهجة:**

**أ-لغـــــــــــــــــــــــــــــــــــــةً:**

اللّهجة «مأخوذة من لهج الفصيل يلهجُ أمه: إذا تناول ضرع أمه يمتصُّه ولهج القصيل بأمه يلهج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج». وتعني أيضًا الولوع أي ولوع الطفل بلغته بأمّه بلهجته بوطنه. فاللّهجة لغة الإنسان فقد فطر عليها وتعوّد ونشأ عليها.

**ب-اصطلاحــــــــــــــاً:**

وقد ورد في معناها الاصطلاحي أنّها: «طريقةٌ معيّنة في الاستعمال اللُّغوي توجد في بيئة خاصّة من بيئات اللُّغة الواحدة». فاللّهجة مجموع العادات والطرائق الكلاميّة تختصُّ ببيئةٍ معيّنة وهذه «الطريقة أو العادة الكلاميّة تكون صوتيّة في غالب الأحيان ومن ذلك –في لهجات العرب القديمة: العنعنة وهي قلب الهمزة المبدوء بها عينا وهذه الصّفة معروفة عند قيس وتميم يقولون في أنّك عنك، وفي أذن عذن على حين أنّ العرب ينطقون الهمْزة دون تغيير في أوائل الكلمات». تعدُّ اللَّهْجة إذن وسيلةً منْ وسائل التّعبير وللعرب لهجاتٍ متنوِّعة تتنوَّعُ حسب اختلاف السكَّان ومناطقَ تواجُدهم وكذلك اللَّهجات الجزائِرِيَّة تتنوَّعُ وتتعدَّدُ لأنَّنا بصدد الحديث عنْ بلد بحجمِ قارّة.

**3-تعريف المثـــــــــــــل:**

**أ-لغــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــةً:**

ورد معنى **"المثل"** في المعاجم العربيَّة ونورد هذه التّعريفات كما يلي:

جاء في مُعجم **"العين"**: «المثَلُ: الشَّيْءُ يُضْرَبُ للشَّيء فَيُجْعَلُ مِثْلَهُ. والمَثَلُ: الحَديثُ نَفْسُهُ».

ووجدْنا في **"لسان العرب"** أنَّ المثل «والمَثِيلُ: كالمِثْلِ، والجمع أمثالٌ، وهُمَا يَتَماثَلانِ.. والمثَلُ: الحديثُ نَفْسُهُ.. والمَثَلُ: الشَّيْءُ الذِّي يُضْرَبُ لِشَيْءٍ مَثَلاً فَيُجْعَلُ مِثْلُهُ، وفي الصِّحاح: ما يُضْرَبُ بِهِ منْ الأمْثالِ. قال الجَوْهَرِيُّ: وَمَثَلُ الشَّيْءِ أَيْضًا صْفَتُهُ... ويُقالُ:

تَمَثَّلَ فُلاَنٌ ضَرَبَ مَثَلاً، وتَمَثَّلَ بالشَّيْءِ ضَرَبَهُ مَثَلاً.. وَقَدْ يَكُونُ المَثَلُ بمعْنى العبْرةِ»14.

وعرّفَ "الفيروز آبادي" المَثَلَ بأنَّهُ: «الحُجَّةُ والحَديثُ.. وَتَمَثَّلَ بِالشَّيْءِ: ضَرَبَهُ مَثَلاً.. وَمَثَّلَهُ لَهُ تَمْثِيلاً: صَوَّرَهُ لهُ حتَّى كأنَّهُ يَنْظُرُ إليْه. وامْتَثَلَهُ هُو: تَصَوَّرَهُ».

تتَّفقُ المعاجم حول معنى المَثلِ لُغةً هو المُشابَهة والمُماثلة والدّليل.

**ب-اصطلاحًــــــــــــــــــــا:**

عرِّف المثَلُ بأنَّهُ «تصْريحٌ أو تقرير لمَبْدأ أو حقيقة أو عاطفة، يَرِدُ في إيجاز بليغ زاخِر بالمَعْنى ويُعنى بالفِكْر والحِكْمة أكثر ممّا يُعْنى بالظرْف والطلاوة. وهُو قريب الصِّلة بالبديهيّة والحكْمة وكُلُّها تُشِير إلى تعْبير جامِع عنْ حقيقة عامّة أو مُعْتقد عام». يرتبِطُ المثل بكُل ما لهُ دلالة تعبيريّة عنْ السُلوك الإنْساني لذلك يرتبْطُ بالحكمة أكثر من الطُرفة يشترك مع الحكمة في جودة الصِّياغة وقوّة التّعبير وكذا الإيجاز لذلك جاز لنا أنْ نقول بأنَّهُ «قولٌ مأثور موجزُ العبارات يتضمَّنُ فِكْرةً صائبة في السُّلوك الإنْساني أُطلق في فتْرةٍ من الزَّمن ثمّ شاع على الألْسُن يُعبِّرُ عمّا يجُولُ في صُدورِ النَّاسِ ممَّا لا يُمْكِنُ حُسْن التّعبير غنُه. ومضرِبُ المثل هو الحال الذّي استُخدِمَ فيه المَثل. والمثل هو صوت الشَّعب ويأتي المثل في مقام التّغبير عنْه»17. «ذلك الفن من الكلام الذِّي يتَميَّزُ بِخصائص ومُقوِّمات تَجْعَلُهُ جنْسًا من الأجناس الأدبيَّة، قائمًا بذاته، وقسيمًا للشِّعْر والخطابة، والقِصّة والمقالة والرِّسالة والمقامة...». يُعتَبَرُ المثَلُ جنسًا منْ أجْناسِ القَصص الشَّعْبي وهو على إيجازِهِ يحْمل قصّةً ويُجسِّدُ معاني كثيرة ودلالات متنوِّعة فيُطلقُ على هذه القصّْة تسمية **"الموْرِد"** وعلى القِصَّة المُشابهةِ لها **"المضرِب"**، أمّا المثَلُ الشَّعْبِي فَهو «قولٌ وجيز يُعبِّرُ عنْ خُلاصة تجْرِبة، مصْدرُه كامل الطبقات الشَّعْبِيَّة يتميَّزُ بحُسن الكِناية وجَوْدة التَّشْبيه لهُ طابع تعليمي ويرْقى على لُغة التَّواصُل العادي». كما نجِدُ لهُ تعْريفًا على أنّهُ «قولٌ شعْبِيٌّ مأثور يُمثِّلُّ خُلاصة تجارُب حياتِيَّة ومُحصِّلة خبرات إنْسانِيَّة (شعْبِيّة فرْدِيّة أو جماعِيّة)، يتميّز بإيجاز اللَّفْظ وإصابة المعْنى وجوْدة الكِناية». وتمتازُ الأمثالُ الشَّعْبِيَّة في كونِها «عِبارة عنْ حكم جُمِعت في تعابير تمْتازُ بالإيجاز والبلاغة والذَّوْق، وهي تدخُل في جميع مظاهر الحياة. فهناك أمْثال تخُصُّ التَّعامُل اليَوْمِي بيْن النَّاس، وأُخرى تَخُصُّ التَّرْبِيّة والأخْلاق التِّي تواضع عليْها المُجْتمع، وغيْرها تخُصُّ الدِّين أو المُجتمع، ومنْ بلاغتها وحُسْنِ صوْغها يَسْهُلُ على الإنْسانِ حفْظُها وتتعلَّق بالذِّهْن بمُجرّد سماعها لأنّها تدُلُّ على حقيقة منْ حقائق الحيَاة الثّابْتة التِّي لا تتغيّر، فهي صالحة لكلِّ زمان ومكان لأنّها نتيجة تجارُب اجتِماعيّة أو فردِيّة، وهي خُلاصة حقائق حضارة المُجتمع الإنْساني، أي أنّها تكاد تكون حقائق إنْسانِيّة شامِلة». تختصُّ الأمْثال الشَّعْبِيّة بجُمْلةٍ من الخصائص جعلتْها مُتداولة بين فئات المُجتمع يحفظُها الكَبِيرُ والصّغيرُ الرَّجُلُ والمَرْآة العام والخاص المُثقّف والأُميُّ نظرًا لإيجازها وقوّة دلالاتها وغزارة معانيها وقُدرة تعْبيرها وجودة عباراتها ودقّة تصويرها وتشْبيهها لذلك كانت مصدر اهتمام الشُّعوب والأُمم كوْنها «تعْبيرٌ صادقٌ عنْ نفْسية طبقات المُجتمع وأفراده على اختلاف مشارِبهم وألوانِهم واتِّجاهاتهم وأنْماط معيشتهم، وهي دليل على تطوُّر ذوق الجُمْهُور الحضاري الرّفيع، منْ جهة أُخرى يُعدُّ المثَلُ (أداء) شعْبِيًّا اتّفق النّاس على تقديره والاهتمامِ به وحظي بالأُنْس والأُلْفة لديْهم والتَّسْليم بما جاء فيه حتّى وإنْ تَضَمّن إيجابِيّة أو سِلْبِيّة في التّفْكير...فيُعدُّ أحسن تعْبير عمّا يُكِنُّونَهُ منْ أفكار، وما يُجسِّدونهُ من عادات وسُلوكات».

يُمْكِنُنا منْ خلال ما تقدّم تعريف المثل الشَّعْبي بأنَّهُ جنْسٌ أدبِيٌّ يقومُ على موجز القول واختصار العبارة مُتداولٌ بين النّاس لهُ موردٌ ومضْرِبٌ يتميَّزُ بجودة الصّياغة وكثرة الصُّور

البَيانِيّة لتوضيح المعاني وتأكيدها كما يُعبِّرُ عن حقائق ثابتة قد تكون تاريخيّة أو اجتماعيَّة يساهمُ في الجانب التّعْليمي يخدِمُ الفرد والمُجتمع.

**2-الجانب التَّعْليمي للمثل الشَّعْبي الجزائري:**

ركزْنا في هذه الورقة البّحْثِيّة على الجانب التَّعليمي لأنّ المثل يحمل طابِعاً تعْليميّا أكثر منْهُ فكاهةً أو شيء منْ هذا القبيل، فهُناك من الأمثال ما يُعلِّمُنا دروسًا في البلاغة والأُسلُوبيّة فلهذا العلم أهميّةٌ كبيرة حيثُ نستعمله في حديثنا اليومي وفي حياتنا فلاحظ قول هذا المثل الشّعبي الجزائري **"ما تخافش من الشبعان** **إذا جاع خاف من الجيعان إذا شبع"** ألا نجد له ما يقابله في ديوان العرب قولهم:

إذا أنت أكرمت الكريم ملــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــكتَه وإذا أنت أكرمت اللّئيم تمــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرّدا

ففي المثل الأوّل لا بدّ من استحضار العقل لفهم المعنى والمقصود من المثل وكذلك في البيت الشِّعري وفي المثل استعمالٌ لأُسلوبِ النَّفي الذّي هو أسْلوبٌ منِ أساليب بلاغة المُتكَلم تُحدِّدُه مقتضيات القول. يقدِّمُ هذا المثل وكذا البيت الشِّعري حكمةً جوهرِيّة وهي حُسنُ انتقاء الكريم الذّي يبادلك المشاعر الصادقة ويُقاسِمُك المبادئ والمُثل العُليا؛ ومن الأمثال الشَّعبية أيضًا التِّي تأخذ منْ قاموس اللُّغة العربيّة سبيلاً للتّبليغ والتَّعبير قولهم على الإنسان الذِّي لا يعرف التفريق بين الأمور "**ما يعرف كوعو من بوعو"** لو قلتُها أمام صغار وحتّى طلبة لضحكوا من كلمة بوعو التِّي تساوي الغول في فهمنا العامِي غير أنَّ الكوع والبوع كلمتان عربيّتان فصيحتان الأولى عضوٌ في اليد والثَّانية عضوٌ في الرجل.

يبرُزُ في الأمثال الشّعْبيّة الجزائريّة كثرة التّشبيه الذّي «أحد مُقوّمات التّشخيص الذّي تقوم عليه كثير من الصُّور الفنيّة بإيحاءاتها المُتعدِّدة». ونذكُ على سبيل المثال قولهم: **"السردوك الفصيح من العظمة يصيح" و"كالزير المتكي ما يضحك ما يبْكي"** كما نجد التّسجيع في المثل الشّعْبي الجزائري بكثرة فهو الذِّي «يُسهمُ في تداول المثل وحفْظه في الذّاكرة، بحيْثُ تأتي جمْلة منغّمة مُكثّفة مسْتوعِبة للمًعنى في تركيز شديد بأقل عدد من الألفاظ». يلتحم اُيجاز وأسلوب التّسجيع فيكونُ هذا الالتحامُ سببًا في شيوع الأمثال وذُيوعها كما نُلاحظ «في عمليّة التّسْجيع أنّ هناك أُسلوبًا أدبِيًّا يعمدُ إليه مُنْشؤُ الأمْثال، يُعدُّ منْ جماليات التّعْبير الفنِي في الخِطاب الأدبي، وهو ذلك التَّنْغيم المُتأتي من المثل المُرَكّب منْ فقرتين، الواحدة منها تتمِّمُ الأُخرى في شيء من المُوازنة النّسقيّة والرنّة المُوسيقيّة الجميلة». ومن الأمثال المسجوعة ذات الرنّة الموسيقيّة قولُهم: "**خنْفوسة تهنيني، ولا غزال يْشقيني"** و**"الطير الحُر ما يتَّحْكَمش، وإذا اتحكم ما يْتخَبْطش" و"هز الشفر يطيح المطر"** فقد جمع هذا المثل بين قوّة التّشبيه وكذا روعة السّجع.

ولنَأخُذ مثلاً شعبِيًّا آخر وهو قولُهم: **"درتْها بيديك حُلِها بسنيك"** التِّي يُقابِلُها مثل عربي وهو قولُهم: **"يداك أوكتا وفوكا نُفخا ففيما الصُّراخ"** يُلِّمُنا ناهيك عنْ جماليته وبلاغته درْسًا منْ دروس الحياة وهي عدم التّباهي بالمعرفة والمقدرة فقد خُلقْنا منْ غير حوْلٍ ولا قوّة إلاّ بالله.

يصعُب عليْنا أنْ نقف عند كل الأمثال الشَّعبيّة الجزائِريّة ومعانيها ودِلالاتها؛ لكن لا بُد منْ دراسة هذه الأمثال التِّي تحمل في طياتها ما فيه ضالة للبحثة وطلاّب العلم كما يُمْكنُنا بالأمثال أنْ نعلِّم ونُربي ونُثقف فهي أداةٌ تعلُّميّة.

توظيف اللّهجة أساسٌ بارزٌ في المثل الشّعبي الجزائري لأنّ الأدب الشّعبي عمومًا تعبيرٌ عن جوانب الحياة المُختلفة لشعبٍ من الشُّعوب فكل منْ يَضرِبُ مثلاً يوظِّف لهجته الخاصّة وذلك للرّفع من شأنها والإعلاء من مكانتها فالشّاوي يوظِّفُ المتعارف عليه في لهجته والقبائلي أيضًا والترقي والمزابي ....إلخ لكن يبقى القاسم المشترك بين هؤلاء هو وحدة اللُّغة فلا تكاد تخلو إبداعاتهم من توظيف اللُّغة العربيّة الفصحى ولو بدرجةٍ أقل.